☚الهوامش في الخطاب الروائي العربي:

إذا تأملنا بعض الروايات المعاصرة التي نحت منحى التجديد والتجريب، فسنجدها تفاجئ القارئ ، من حين لآخر، بهوامش خارج النص متفاوتة، يحتكرها المؤلف لنفسه كفضاء لتدخلاته المتكررة. وتتميز هذه التدخلات بتخلي الروائي عن حياده، إما للكشف عن حيثيات أهملها السارد، وإما لتعليل بعض الأحداث. وقد يتدخل المؤلف ليفصح عن نيات السارد، أو ليشوق القارئ إلى قول وشيك في الحبكة الروائية[٢٢٣] .ولكن ثمة نصوص كلاسيكية، استعانت بالهوامش لإضاءة متونها، وتوضيحها، وتذليل غوامضها، مثل: روايات جورجي زيدان. وفي هذا الصدد، يقول عبد المحسن طه بدر:" ومن مظاهر حرص جورجي زيدان على الدقة التاريخية في رواياته أنه يشير إلى المراجع التي استمد منها مادته العلمية. وكأنه يكتب حقا مرجعا في التاريخ، فهو في رواية: (الحجاج بن يوسف الثقفي) يشير إلى " الأغاني" مرتين في صفحتين متتاليتين. ويشير في صفحتين ثانيتين إلى المرجع نفسه أكثر من خمس إشارات، ويشير في صفحة واحدة إلى المرجع نفسه أكثر من ست مرات ، كما يشير ، وهو يتحدث عن علاقة سكينة بنت الحسين بالشعراء في الرواية نفسها ، إلى الدر المنثور ومشكاة المصابيح، وتتكرر ظاهرة الإشارة إلى المراجع في هوامش الرواية في هذه الرواية وفي غيرها من الروايات. جورجي زيدان لا يكتفي بأن يشير إلى المصادر التي استقى منها مادته؛ ولكنه يجعل من بعض رواياته مراجع لبعضها الآخر، فيشير في رواية: (العباسة) على أنه سبق أن تحدث عن مقتل أبي مسلم الخراساني في رواية أخرى "[٢٢٤] .

هذا، ويشكل خطاب الهوامش في الرواية بنية حكائية نصية مستقلة، تتفاعل بنيويا ودلاليا مع البنية النصية الكبرى. ولو امتدت هذه البنية الهامشية الصغرى نصيا، لتمخضت عن محكي فرعي داخل المحكي

---

[٢٢٣]- د. رشيد بنحدو: (حين تفكر الرواية في الروائي)، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، لبنان، عدد٦٧/٦٦ يوليو- غشت، ١٩٨٩،ص:٣٢.

[٢٢٤]- د. عبد المحسن طه بدر: **تطور الرواية العربية الحديثة في مصر**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة ، ص: ١٠٢.

الأصلي. و" لكن هدف المؤلف من اقتحام النص من هوامشه ليس تفتيت النص إلى محكيين اثنين، بل إيهام القارئ باستقلال السارد(السراد) عن ذاته وإرادته .أي: بانتفاء التطابق المبدئي بين المؤلف والسارد، على أساس أن الأول، وهو المسؤول عن الهامش، لايعرف مقدار ما يعرفه الثاني، وهو المسؤول عن المحكي، بتعبير جيرار جنيت."[٢٢٥]

وعليه، فالخطاب الذي يقوم على توظيف الهوامش إنما يراد به تقوية المكتوب وتعضيده، بتوسيع الإشارة ودقتها، حيث إيراد التواريخ في نوع من التركيز، أو استحضار الشاهد العميق الدلالة، علاوة على إضفاء البعد الواقعي؛ لأن بتقوية المكتوب وتعضيده، تسير بالنص من صفته الخيالية نحو الواقعية الموضوعية.ويراد بالهوامش كذلك إنتاج النص الثقافي، ومحاورة النص الأصلي. أي: إن الهوامش في تنوعاتها ترسم صورة عن طبيعة النص، وتجسد النص الثقافي الذي يقدم معرفة متكاملة متضامنة، وتشكل نوعا من الحوار الذي تؤسسه مع نصوص أخرى، وذلك في شكل أجناس وخطابات تتفاعل فيما بينها تعالقا وتناصا[٢٢٦].

وهكذا، فخطاب الهوامش بنية مناصية ضرورية لفهم النص الروائي وتفسيره وتأويله. وهو خطاب ماورائي، يعضد النص السردي الأساس، ويقويه، ويثريه فنيا وفكريا وذهنيا وجماليا. وهو بمثابة حواش للنص. إذ تؤطر هذه الحواشي الهامشية المعنى، أو توجهه سلفا.ويحاول الروائي من خلالها أن يخفف من درجة الغموض التي باتت تشتكي منها بعض النصوص الروائية الحديثة أو المعاصرة التي في حاجة ماسة إلى أدوات لغوية عامية وأجنبية لا يعرفها القارئ العادي، بالإضافة إلى توظيف رموز وأساطير وعلامات تاريخية ومرجعية ، تتطلب إيضاحات وشروحا. وهناك بعض الروائيين الذين وظفوا تقنية الهوامش، مثل : عبد الله العروي في روايته (أوراق) ، وإميل حبيبي في روايته(الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل)، ومبارك ربيع في روايته(بدر زمانه)، وبنسالم حميش في (مجنون الحكم)، ومحمد شكري في(

---

[٢٢٥]- د.رشيد بنحدو: نفسه، ص:١٩٦-١٩٧.

[٢٢٦]- صدوق نور الدين: **أوراق لعبد الله العروي**، دراسة وتحليل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م، ص:٨٦.

الشطار) ومحمد الأشعري في(جنوب الروح)، وصنع الله إبراهيم في(نجمة أغسطس) التي جهر فيها بالمراجع التي اعتمدها في استجماع مواد التخييل؛ وسليم بركات في رواياته ،وغالب هلسا في روايته(سلطان).فالمراجع التي أثبتها عبد الله العروي -مثلا- في روايته(أوراق)[٢٢٧] كانت تهدف إلى تسهيل النص على القارئ، وإضاءة مستنسخاته النصية، وتوضيح مفاهيمه المرجعية، وذلك بشرح ماغمض في النص، عن طريق توضيح إحالاته الدينية، والفكرية، والفلسفية، واللغوية، والتاريخية، والأدبية، والفنية، والسياسية... وتبيان مصادره التخييلية. وهناك ما يبرر شرح هذه الهوامش؛ لأن الرواية عبارة عن نص ميتاسردي واصف على غرار الكتب النقدية الوضعية الميتالغوية. لذلك، فهي تتطلب شروحا وإحالات وتعليقات، ينبغي إيضاحها، وتبسيطها للقارئ. لهذا، أثبتها الكاتب في آخر الكتاب، لتؤدي وظيفة تربوية، وإيضاحية، وتسهيلية، ومعرفية، وإيهامية، توحي بالحقيقة الموضوعية الموثقة على غرار كتابات إميل زولا . ولا ننسى أن الكيفية التي كتبت بها الرواية، - وهي نص على نص- تبرر هذه العملية.

يتبين لنا، مما سلف ذكره ، بأن الهوامش النصية ظاهرة مطبعية قديمة، عرفتها كل الخطابات و الأجناس الأدبية والوصفية، كما أنها عتبة من عتبات النص الموازية التي تساعدنا على استيعاب النص، وإعادة إنتاجه من جديد. كما تعد الهوامش من تجليات الخطاب الروائي العربي الجديد، على الرغم من وجودها في بعض النصوص الروائية الكلاسيكية. ويهدف خطاب الهوامش، باعتباره مظهرا للتجريب والحداثة، إلى خلق نص مجاور، يتفاعل مع المتن النصي حوارا، وتناصا، وتخييلا، وتجسيدا للمعرفة الخلفية التي ينطلق منها الكاتب لإشراك القارئ في تفكيك النص، وتركيبه، من خلال فهم شفرة النص الثقافية والمرجعية والفنية.كما يهدف هذا النص الموازي إلى خلخلة الذوق السائد لدى المتلقي، وتخييب أفق انتظاره بأنه أمام نص حداثي، يتطلب منه المساهمة في خلق النص، وإعادة إنتاجه من جديد.

---

[٢٢٧]- عبد الله العروي: **أوراق**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦م.

شعريــة المقتبســات في الخطاب الروائي العربي

☚ مفهـوم المقتبس النصي:

تعتبر المقتبسات(EPIGRAPHES) من أهم عناصر النص الموازي، وأحد الملحقات النصية الداخلية المجاورة للنص الإبداعي. وقد اهتمت بها الشعرية السردية مع جيرار جنيت (G. GENETTE) في كتابه: (عتبات SEUILS) و(الأطراس PALIMPSESTES). ويدرج جنيت المقتبسات أو العبارات التوجيهية ضمن النص الموازي(PARATEXTE) الذي يشمل: العنوان، والعنوان الفرعي، والعناوين الداخلية، والمقدمات، والتذييلات، والتنبيهات، والتصدير، والملاحظات الهامشية، والحواشي أسفل الصفحات، والهوامش في آخر العمل، والإهداء، والزخرفة، والرسم، والغلاف... وأنواع أخرى من إشارات الملاحق، والمخطوطات الذاتية والغيرية، التي تزود النص بحواش مختلفة[٢٢٨].

وتعني كلمة المقتبسات العبارة المقتبسة التي توضع في صدر الكتاب أو في جزء منه، وتلخص فكرة المؤلف، وتوضع بين قوسين، أو مزدوجتين، أو بين معقوفتين، أو بين علامات التنصيص، على أنها تضمين واقتباس واستشهاد[٢٢٩]. وتعرف المقتبسة كذلك بأنها: شاهد يوضع في مستهل عمل أو فصل للإشارة إلى روح هذا العمل أو الفصل. ومن ثم، فإن القصد العام للكاتب يكون موضحا بالمقتبسة[٢٣٠]. ويكون الغرض من هذه المقتبسات هو التوضيح، والتدقيق، والتعضيد، وتقوية النص، وإضاءته فهما وتفسيرا وتأويلا.

---

228 - G.GENETTE : **Palimpsestes**.ED, SEUIL, COLL.POETIQUE.1982, p : 9.

229- G.GENETTE : **Seuils**, collection Poétique, Seuil, 1987, p : 134.

230 - BERNARD DUPRIEZ : **les procédés littéraires (dictionnaire**), GRADUS, 10/18,1984.

ويرى ميكائيل ريفاتير(MICHAEL RIFFATERRE) بأن المقتبسة هي بمثابة مؤولة للدليل، وتشتغل نموذجا للاشتقاق الإبداعي[٢٣١]. ويعني هذا أن المقتبس عبارة عن استشهاد أو اقتباس أو تضمين، يورده المبدع أو الكاتب أو أي شخص آخر لتقوية النص تعضيدا وتوثيقا وتحقيقا وتخييلا، وتفسيره تعليقا وشرحا ونقدا وتأويلا. بمعنى أن المقتبس هو الذي يسعف المتلقي في تفكيك النص تشـــــريحا وتحليلا وتقويما، وتركيب شفرته الدلالية والتأويلية، إن بنية، وإن دلالة، وإن وظيفة.

☚ تاريخ ظاهرة المقتبس النصي:

ارتبطت ظاهرة المقتبسات بالكتاب المخطوط والمطبوع، وعرفت تطورات نصية وموقعية حسب اختلاف الكتاب، وتطوره على المستوى التقني والمطبعي. وقد أصبح الغلاف ، في القرن السادس عشر،" يتضمن بالإضافة إلى اسم المؤلف، وعنوان الكتاب، ومكان الطبع، وسنة الطبع، بعض المعطيات الأخرى، كاسم موزع الكتاب، وبعض الإهداءات الطويلة، والتفسيرات المختلفة تحت العنوان، والرسوم التي كانت تزداد غنى مع الوقت، وإشارة الطابع، أو إشارة الناشر. وسرعان ما أخذت تظهر على الغلاف رسومات فخمة على شكل مشابه لبعض أجزاء العمارة، وبعض لوحات البورتريه، وموتيفات مختلفة من التوراة. وهكذا، فقد أصبح الغلاف في نهاية القرن السادس عشر يغص بالرسومات والمعطيات المختلفة. وفي ذلك الوقت، اكتمل أسلوب الباروك الفخم في الغلاف، حيث أصبح يتضمن معطيات مفصلة عن المؤلف، وعن موضوع الكتاب، وعن راعي الكتاب وعن الطابع أو الناشر، وحتى استشهادات [مقتبسات] الكتاب الكلاسيكيين. وكل هذا إلى جانب الرسوم الفنية بالأعمدة الكلاسيكية والشخصيات المجازية والمناطق النادرة التي لم يكن لها في الأغلب أية علاقة بموضوع الكتاب"[٢٣٢].

---

[231]- MICHAEL RIFATERRE : **sémiotique de la poésie**, traduction FRN, SEUIL, PARIS, 1983, p : 142.

[٢٣٢]- د. ألكسندر ستيبتشفيتش: **تاريخ الكتاب**، القسم الثاني، ص: ٢٢٨.

هذا، ويرى جيرار جنيت بأن المقتبسات أقدم من عتبة الإهداء تاريخيا، حيث لم يجد الباحث للإهداء أي أثر في الثقافة الغربية قبل القرن السابع عشر. ومن ثم، فأول كتاب يوظف المقتبس بشكله المعروف هو كتاب (الخصائص/Caractères) الذي ألفه الكاتب الفرنسي الساخر لابروبير (La Bruyère) سنة ١٦٨٨م.وبعد ذلك، كثرت المقتبسات في الكتب في القرون اللاحقة حتى قرننا هذا. وأصبح المقتبس تقليدا في بناء النص، وعرفا في صناعة الكتاب وطباعته. والآتي، أنه غدا قاسما مشتركا بين جميع الأجناس الأدبية، ولم يقتصر فقط على الدراسات العلمية والأدبية والأكاديمية فقط، بل تجاوزها إلى الإبداع ، ليلتصق بجنس الرواية بشكل لافت للانتباه ، وبالخصوص عند الكتاب الإنجليز أولا، والكتاب الفرنسيين ثانيا، ومنهم: والتر سكوت(Walter Scott)، وجيمس(James)، وفيلدينغ(Fielding)، وجان أوستن(Jane Austin)، وآن رادكليف(Ann Radcliffe) ، وستاندال(Stendal)، وبلزاك(Balzac)، وفلوبير(Flaubert)، وإميل زولا(Zola)...ويعني هذا أن المقتبسات قد التصقت بظهور المدرسة الواقعية بحال من الأحوال[٢٣٣].

ولا ننسى أن نقول أيضا: إن الثقافة العربية بدورها قد اهتمت اهتماما كبيرا بالمقتبس، واعتبرته أساس الموضوعية العلمية، وجعلته دليلا على نضج المؤلف، وعلامة على قوته الإبداعية، ومؤشرا واضحا على سموه الفكري. ومن ثم، فتعضيد النص بالمقتبسات والاستشهادات من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والأقوال المأثورة من أمثال، وحكم، وأشعار، وأخبار، ونوادر، وحكايات، وسرود، كل هذا يرفع من مكانة المبدع، ويسمو به في سماء الثقافة والعلم والأدب. بل وجدنا أيضا بعض الكتب النقدية وكتب الأدب العامة عبارة عن مقتبسات صريحة أو ضمنية،

[233] -G.Genette: Ibid, p: 137-138.

كما هو حال كتاب: (العقد الفريد) لابن عبد ربه[٢٣٤]، وكتاب (العمدة) لابن رشيق القيرواني[٢٣٥]، وكتاب (المقدمة) لابن خلدون مثلا[٢٣٦].
ويعني هذا أن المقتبسات تقليد أدبي وثقافي عريق، ارتبط بعالم الإبداع والكتابة، وتخطيط الكتاب، وطبعه، ونشره، في جميع الثقافات التي عرفت الازدهار العلمي والثقافي.

☚وظائـف المقتبس وطبيعتـه:

تؤطر المقتبسات المعنى، و توجهه سلفا، وتضيء النص، وتوضحه. وقد تخفف من درجة الغموض التي يلتجئ إليها الروائي في نصه الإبداعي. وربما، يلتجئ الروائي إلى المقتبسات احتفاظا منه على التقليد الذي كان سائدا في مجال الكتابة الإبداعية بصفة عامة، والرواية منها بصفة خاصة. وغالبا ما تكون المقتبسات بين مزدوجتين صغيرتين أو بين قوسين أو معقوفتين، أو تتحرر من علامات الترقيم بشكل جذري ومطلق. وترد المقتبسات أيضا إما في شكل جملة، وإما في شكل مقطع مقتطف من نص ما.
ويرى جيرار جنيت بأن للمقتبسات مجموعة من الوظائف، وأهمها: وظيفة التعليق التي تتمثل في إضاءة النص فهما وتفسيرا وتأويلا، وخاصة إضاءة العنوان المقابل بشكل من الأشكال. والوظيفة الثانية للمقتبسات هي شرح النص وتفسيره، بغية بناء المعنى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ويعني هذا أن للمقتبسات وظيفة دلالية إلى جانب الوظيفة الموازية (خدمة العنوان). وتتمثل الوظيفة الثالثة في الاحتفاء بالمقتبس منه، وتعضيد النص وتقويته بمؤلفين متميزين، ذوي شهرة واسعة، وصيت ذائع[٢٣٧].
هذا، ويؤدي المقتبس، باعتباره عبارة تصديرية ومقدماتية، مجموعة من الوظائف، كالوظيفة التنبيهية، والوظيفة الاستشهادية، والوظيفة التوثيقية،

---

[٢٣٤]- ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، تحقيق: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى،مطبعة الاستقامة ، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٥٣م.
[٢٣٥]- ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآداه ونقده**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، جزآن، بدون تاريخ للطبعة.
[٢٣٦]- ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، دار الرشاد الحديثة، بدون ذكر لمكان الطبع وزمانه.
[237]-G.GENETTE: Ibid, p: 145-149.

والوظيفة الاستدلالية أو الحجاجية، والوظيفة التخييلية، والوظيفة التوجيهية، والوظيفة التناصية، والوظيفة الدلالية، ويعمل من جهة أولى بوصفه نموذجا للاشتقاق الإبداعي. أما من جهة ثانية،فإنه يقود المقتبس له أو القارئ المفترض إلى التركيز على التناص[٢٣٨].

هذا، وتعد المقتبسات من أهم وحدات المستنسخ النصي التي تغطي العالم التيبوغرافي(الطباعي) للعمل، مادامت قوالب وأشكالا أدبية استشهادية جاهزة تدخل في (خطاب المستنسخات)، وهو أيضا خطاب يعيد إنتاج التراثي مستحدثا، ومخضعا إياه في سياق معاصر[٢٣٩].

☚ مكـونات المقتبس وأنواعــه:

يتكون المقتبس النصي، في الرواية أو في الشعر أو في النص الدرامي، من الوحدات التالية: المقتبس(l'épigrapheur)، والمقتبس(épigraphe)، والمقتبس له، والمقتبس منه(l'épigraphé)، وصيغ الاقتباس ووظائفه(l'énoncé de l'épigraphe). ويعني هذا أن المبدع أو المؤلف أو الكاتب الذي يستشهد بالمقتبس يسمى بالمقتبس.في حين، يسمى صاحب القولة أو الاقتباس بالمقتبس منه، وما تم اقتباسه يسمى بالمقتبس، و الغرض من هذا المقتبس أن يصل إلى القارئ أو المتلقي الذي يسمى بالمقتبس له[٢٤٠]. وقد يكون المقتبس منه معروفا أو مجهولا، حقيقيا أو تخييليا. وليس الكاتب أو المؤلف هو دائما واضع المقتبسات، فقد يكون الواضع هو الطابع، أو الناشر، أو المترجم، أو الناسخ، أو المحقق، أو الناقد، أو القارئ، أو السارد من الدرجة الأولى(السارد الخارجي)، أو السارد من الدرجة الثانية(السارد الداخلي)... وحتى المقتبس له قد يكون قارئا ضمنيا، أو قارئا حقيقيا، أو مبدعا، أو مهدى له، أو ناقدا، أو دارسا وباحثا...

---

238 - G.GENETTE: Seuils, p: 147.

٢٣٩- د. سعيد علوش: **المصطلحات الأدبية المعاصرة**، مطبوعات المكتبة الجامعية،مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م، ص:١٢٢.

240 - G.GENETTE: Ibid, p: ١٤٠.

ويوضع المقتبس غالبا قريبا من النص، وبالضبط في الصفحة التي تلي صفحة الإهداء، وقد يكون ذلك الإهداء خارجيا مستقلا بصفحة خاصة به، وقد يكون داخليا مرتبط بالنص فوق صفحة واحدة. ويمكن الحديث عن مقتبسات أصلية ظهرت مع النسخة الأولى، ومقتبسات متأخرة، ومقتبسات محذوفة. بمعنى أن المبدع قد يضع مجموعة من المقتبسات أثناء طبع عمله الأول، لكنه يحذفها في الطبعات اللاحقة أو المتأخرة كما فعل بلزاك. وقد يكون العكس صحيحا، فقد ينشر المبدع عمله بدون مقتبسات، ولكن يوظفها في الطبعات اللاحقة أو المتأخرة منها. وثمة أعمال - بطبيعة الحال- خالية من المقتبسات أصلا. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن المقتبسات أنواع: مقتبسات أصلية، ومقتبسات لاحقة، ومقتبسات متأخرة، ومقتبسات تظهر وتختفي، أو ما يسمى كذلك بالمقتبسات المحذوفة[٢٤١].

هذا، و ينبغي لمحلل المقتبسات النصية داخل الرواية أو غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى أن يركز منهجيا على بنية المقتبس صورة وتركيبا وتكوينا، ويرصد دلالاته المختلفة، ويحدد وظائفه المقصدية المباشرة وغير المباشرة، مع وضعه في سياقه النصي والذهني والمقطعي، بغية الوصول إلى الدلالة الكلية للنص أولا، واستكشاف مقاصده المباشرة وغير المباشرة ثانيا.

☚ المقتبس النصي في الرواية العربية:

استعانت مجموعة من النصوص الروائية الكلاسيكية منها والجديدة بمقتبسات نصية، استهلت بها الحدث الروائي، كعبارات توجيهية وتناصية. بيد أن الروايات الجديدة أو روايات مابعد الحداثة هي التي أكثرت من استخدام المقتبسات النصية، وتشغيل المستنسخات الإحالية، باعتبارها مظهرا من مظاهر التجريب، والتحديث، والتأصيل، والتخييل، والانزياح عن النصوص الروائية السابقة. و ثمة مجموعة من النماذج الروائية العربية التي انشغلت بتوظيف المقتبسات النصية، بغية إثارة المتلقي، وإرباكه ذهنيا وفنيا وجماليا، وتخييب أفق انتظاره، واستفزازه

241 - G.GENETTE: Ibid, p: ١٤٠.

معرفيا ووجدانيا، وذلك كله من أجل فك رموز الملفوظ الاقتباسي. ونستحضر من بين هذه النماذج مجموعة من الروايات المغربية، كرواية: (المباءة) لمحمد عز الدين التازي، و(جنوب الروح) لمحمد الأشعري، و(الألم) للعربي باطما، و(أطياف) لبهوش ياسين، و(العشاء السفلي) لمحمد الشركي، و(بدر زمانه) لمبارك ربيع، و(مجنون الحكم والعلامة) لبنسالم حميش، و(الجنازة) لأحمد المديني... وقد تكون هذه المقتبسات الروائية الموظفة: فلسفية، أو تاريخية، أو دينية، أو صوفية، أو إبداعية، أو في شكل مأثورات وأدعية ، أو تأملات وخواطر، أو تضمينات دينية، إلخ... وتتخذ هذه المقتبسات صيغا عدة، كالترميز، والاستعارة، والأسلبة، والمحاكاة الساخرة، والتضمين، والتفاعل النصي، والتعالق التناصي، والاشتقاق الحواري.

ويلاحظ أن المقتبس (بفتح الباء) في هذه الروايات يرد في شكل ملفوظ توجيهي إحالي مسيج، إما بأقواس ومعقوفات، وإما بعلامات التنصيص، وإما بخط سميك وبارز (حكمة/ قولة فلسفية/ شعر/ تأمل). والآتي، أن المقتبس يمتلك في هذه النماذج العديد من الوظائف والأبعاد النصية والدلالية والإيديولوجية، تبعا للموقع الذي تحتله تلك المقتبسات في بناء عالم الحكاية، إن على مستوى توجيه مسار القراءة، واختزال جانب من تصورات المؤلف للكتابة الروائية، وإن على مستوى تلخيص منطق الحكاية ، واستحضاره ضمن ملفوظ له نسق خاص في البناء والتركيب والدلالة[٢٤٢].

هذا، ويقع المقتبس غالبا في بداية الرواية، وبالضبط في صفحاتها الأولى المرقمة وغير المرقمة. ويأتي في صيغة استشهاد، أو في شكل حاشية مجاورة للنص، أوفي شكل عتبة أساسية تساهم في إضاءة النص، وتوجيه القراءة. وقد يتموقع في كثير من الأحيان بعد الإهداء مباشرة، إن وجد فعلا إهداء في الرواية، وقد يتموقع بشكل من الأشكال قبل المقدمة. " من هنا، يصبح التساؤل عن متلفظ [المقتبس]، وعمق القضايا المحددة لوظائفه النصية في ارتباط بالسياق العام لتحققات الحكاية وطرائق سردها"[٢٤٣].

---

[٢٤٢]- د. عبد الفتاح الحجمري: **عتبات النص : البنية والدلالة**، شركة الرابطة ، الدار البيضاء،المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م، ص:٣١.

[٢٤٣]- د. عبد الفتاح الحجمري: نفسه، ص:٣١.

ويبدو أن تلك المقتبسات التي يعضد بها الروائي نصه ماهي إلا مصاحبات أدبية(paralittérature)، واستشهادات تدخل في علاقات تفاعلية وموازية مع البنية النصية المجاورة[٢٤٤].

☚ المقتبسات في روايات بنسالم حميش:

لقد وظف الروائي المغربي بنسالم حميش كثيرا من المقتبسات النصية، والعتبات المجاورة، في روايتيه (مجنون الحكم) و(العلامة) ، عن طريق خلق نصين متوازيين: نص إخباري حقيقي، ونص روائي تخييلي. وأغلب هذه البنيات المناصية شواهد تاريخية، واقتباسات من الكتب، يمكن إدراجها في باب التراجم والسير الغيرية. وهي مقتبسات موثقة توثيقا علميا وأكاديميا.

ومن ثم، يمكن التمييز في رواية: (مجنون الحكم) بين مقتبسات داخلية، ومقتبسات خارجية. فالأولى تستثمر داخل المتن الروائي، وتفصل بين المقاطع السردية، عبر المجاورة النصية، والتفاعل بين النص المرجعي والنص التخييلي. في حين، تحضر الثانية باعتبارها مستنسخات وشواهد، يستهل بها الروائي روايته بما فيها: مداخلها، وأبوابها، وفصولها الرئيسة. فهي بمثابة عناوين وحواش تضيء النص، وتفسره دلاليا، وتسعف القارئ على أخذ تصور معين حول ما سيأتي.

هذا، وقد تعددت مقتبسات بنسالم حميش في رواية (مجنون الحكم). ويتحدث أغلبها عن سيرة الحاكم بأمر الله، وترصد هذه المقتبسات نشأته، وسلوكه، وحياته السياسية. كما تتحدث عن أبي ركوة معاكسه الثائر من جهة، وعن ست الكل (السلطانة)، قاتلته الجميلة من جهة أخرى.ويلخص لنا هذا الجدول حضور هذه المقتبسات في تلك الرواية:

المقتبس منه	مصدر الاقتباس	نوعه	موضوع الاقتباس

244 - W.Krysinski : **Carrefours de signes : essais sur le roman moderne**.Mouton 1981, p : 295.

الوزير جمال الدين	أخبار الدولة المنقطعة	خارجي	سيرة الحاكم بأمر الله.
سبط ابن الجوزي	مرآة الزمان	خارجي	سيرة الحاكم بأمر الله.
الحافظ الذهبي	تاريخ الإسلام	خارجي	سيرة الحاكم بأمر الله.
المقريزي	الخطط	خارجي	سيرة الحاكم بأمر الله.
ابن خلكان	وفيات الأعيان	خارجي	سيرة الحاكم بأمر الله.
ابن كثير	البداية والنهاية	خارجي	العبد مسعود.
ابن إياس	بدائع الزهور في وقائع الدهور	خارجي	العبد مسعود.
يحيى بن سعيد الأنطاكي	صلة تاريخ أوتيخا	خارجي	سيرة الحاكم بأمر الله.
ابن إياس	بدائع الزهور	خارجي	سيرة الحاكم بأمر الله .
ابن الصابي	كتاب التاريخ، تكلمة تاريخ ثابت بن سنان	خارجي	سيرة الحاكم بأمر الله.
ابن الأثير	الكامل في التاريخ	خارجي	سيرة أبي ركوة.
ابن تغري بردي	النجوم الزاهرة	خارجي	سيرة الحاكم بأمر الله.
ابن القلانسي	ذيل تاريخ دمشق	خارجي	سيرة السلطة ست الكل.
ابن الصابئ	كتاب التاريخ المذيل	خارجي	سيرة السلطانة

	به على تاريخ ثابت بن سنان		ست الكل.
ابن تغري بردي	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة	داخلي	سيرة الحاكم بأمر الله.
المقريزي	اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا	داخلي	سيرة الحاكم بأمر الله.
ابن كثير	البداية والنهاية	داخلي	سيرة الحاكم بأمر الله.
عبد الله عنان	الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية	داخلي	سيرة الحاكم بأمر الله.
ابن خلدون	كتاب العبر	داخلي	سيرة الحاكم بأمر الله.
القلقشندي	صبح الأعشى	داخلي	سيرة الحاكم بأمر الله.
ابن الأثير	الكامل في التاريخ	داخلي	سيرة أبي ركوة.
الكرماني	رسالة "مباسم الشارات بالإمام الحاكم بأمر الله"	داخلي	سيرة الحاكم بأمر الله.
المقريزي	خطط المقريزي	داخلي	سيرة الظاهر.
المقريزي	اتعاظ الحنفا	داخلي	سيرة ست الكل.

إذاً، يغلب بنسالم حميش في روايته (مجنون الحكم) المقتبسات الداخلية على المقتبسات الخارجية. ومن ثم، تكسر الأولى خطية السرد، وتميز

النص المرجعي عن النص التخييلي، بينما الثانية عبارة عن مداخل نصية تضيء النص. وهي حواش استهلالية مستقلة بحد ذاتها، ترد في شكل إعلانات نصية (annonces).

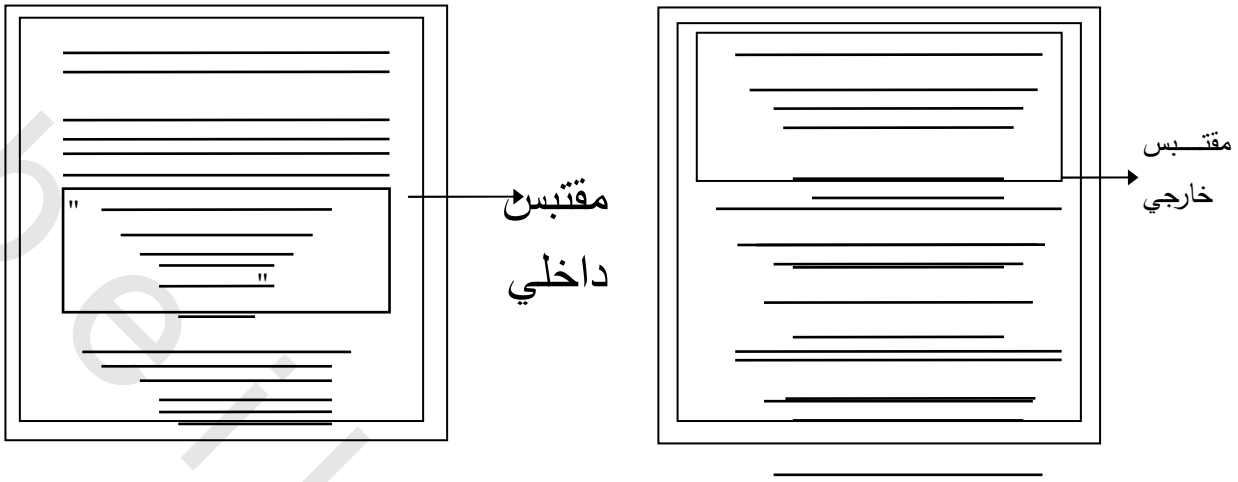

وعليه، تؤطر المقتبسات الخارجية النص، وتعلنه، وتمهد له، وتحدد فضاءه السياقي والدلالي والمرجعي. وهي مستنسخات تاريخية ترصد سير الشخصيات الروائية في النص. ولها وظيفة خبرية أو مرجعية، بينما النص الذي يلحقه ذو وظيفة جمالية تخييلية. فالخبر يعضد المتخيل، ليوهم المبدع القارئ بصدق الحقيقة أو الإيهام بصدق المحكي. أما المقتبسات الداخلية، فتكسر خطية السرد، وتقطع حبكته الحكائية، لتنسج تداخلا إبداعيا ، ينصهر فيه النص الإخباري والنص التخييلي.

وأغلب المقتبسات التي يتعامل معها بنسالم حميش في رواية (مجنون الحكم) متفاعلات تاريخية قديمة، تتجاوز النص – المتن. وتمتد هذه المتفاعلات النصية التاريخية إلى تاريخ الدولة الفاطمية، من خلال الإشارة إلى وقائع أو شخصيات (الحاكم - أبو ركوة - العبد مسعود - ست الكل- الظاهر...)، أو إلى أحداث معينة. وهكذا، تشير المقتبسات الخارجية منها والتاريخية إلى سيرة الحاكم، مع رصد تناقضات أحكامه وتنزهاته وإلاهياته، وفضح لواطية العبد مسعود، واستعراض الثورة المهزومة باسم الثائر باسم الله من ناحية، وذكر سيرة الست الكل من ناحية أخرى.ونجد ضمن هذه المقتبسات الداخلية متفاعلات أدبية عبارة عن أبيات شعرية:

دع اللوم عني لست مني بموثق
فلا بد لـي من صدمة المتحنق
وأسقي جيادي من فرات ودجلة
واجمع شمل الدين بعد التفرق"([٢٤٥])

ويرد هذا المتفاعل لتعضيد النص وتدعيمه، وتنويع سجله السردي بطريقة إبداعية رائعة. ويلاحظ أن المقتبسات الموجودة في (مجنون الحكم) مبرزة بشكل واضح، إذ هي مسورة بعلامات التنصيص، ولها إحالات مرجعية موثقة بالأرقام، ومحددة المصادر والمراجع. فالمقتبسات بنيات نصية مستقلة بذاتها ومتكاملة في شكل مقاطع صغيرة أو كبيرة، لها بداية ونهاية، وقد تنتقل من المقتبس [نص خارجي] إلى النص الأصلي أو النص - المتن، أو تنتقل من النص- المتن إلى النص المقتبس [نص داخلي]. وبانتقالنا من النص إلى المقتبس - والعكس صحيح- ننتقل من صيغة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر، ومن فضاء إلى فضاء آخر كذلك. ويتم بين المقتبس والنص علاقة بنيوية ودلالية وظيفية عبر البناء الروائي بأكمله. ويمكن اعتبار المقتبس الداخلي خطابا معروضا، أو ما يسمى عند بعض السرديين حكيا على حكي([٢٤٦]).

وثمة أنواع من المقتبسات في الرواية نذكر منها: المقتبس التاريخي، والمقتبس الشعري. والمقتبس السياسي (السجلات السياسية التي أصدرها الحاكم)، والمقتبس النثري، والمقتبس السردي.وتتعدد هذه المقتبسات أو المناصات: "بتعدد أنواعها. وهكذا، يمكننا الحديث عن مقتبسات شعرية مثلا أو سياسية أو ما شابه ذلك. وفي المناص السردي ندخل كل ما يتصل بالحكي، سواء أكان أسطورة أم خرافة أم حكاية شعبية".([٢٤٧])

هذا، ويعتمد الكاتب في رواية (العلامة) على مقتبسات خارجية، ترصد سيرة ابن خلدون، وتحدد السياق الخارجي لحياة هذا العلامة المتوترة في مصر؛ نتيجة كثرة الغمم والمشاكل، وسوء التفاهم بينه وبين سلاطين

---

[٢٤٥]- بنسالم حميش: **مجنون الحكم**، دار رياض الريس، لندن ١٩٩٠، ص ٢١.

[٢٤٦] - د. سعيد يقطين: **انفتاح النص الروائي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م،ص ١١٤.

[٢٤٧] - د. سعيد يقطين: نفسه، ص ١١٤.

زمانه؛ بسبب الوشاية والسعاية الفاسدة التي كان وراءها أصحاب المال والجاه، والعلماء، والمنافقون، والمسؤولون عن السلطة. ويغلب على هذه المقتبسات الخارجية المناص التاريخي، عبر استحضار إحالات تاريخية، مثل كتاب: (الإحاطة في أخبار غرناطة) للسان الدين بن الخطيب، و(الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) لشمس الدين السخاوي، و(ورفع الإصر عن قضاة مصر) لابن حجر العسقلاني، و(الذيل على تاريخ الاسلام) لابن قاضي شهبة، و(التعريف بابن خلدون) لابن خلدون، و(عجائب المقدور في أخبار تيمور) لابن عربشاه.

وقد وضع حميش هذه المقتبسات التاريخية في مستهل الفصول الثلاثة، بينما أخذ المقتبسات الداخلية من كتاب (التعريف لابن خلدون)، ليجعل التفاعل النصي يتمحور حول نصين: نص ابن خلدون المرجعي التعريف)، ونص ابن خلدون التخييلي (الرواية).

مجنون الحكم	**العلامة**
تحتوي هذه الرواية على ثمانية وعشرين (٢٨) مقتبسا داخليا متنوعا، من حيث البنية المناصية والإحالة المرجعية. وهذه المقتبسات مأطرة داخليا من قبل النص – المتن. أما المقتبسات الخارجية فهي تاريخية، تستهل بها فصول أبواب الرواية.	تحتوي هذه الرواية على مقتبسات داخلية، مأخوذة من كتاب التعريف لابن خلدون. وقد تم تشذيره إلى مقاطع نصية حسب سياق المتن. أما المقتبسات النصية الخارجية، فهي تاريخية، تستفتح بها فصول الرواية الثلاثة.

ومن الملاحظ أن هذا المقتبسات المناصية "لا تأخذ دلالتها خارج السياق الذي وردت فيه، ولا يجب قراءتها في ذاتها، وإلا اعتبرت حشوا وطارئا لا قيمة له" ([٢٤٨]).

ويلاحظ أيضا أن هذه المقتبسات جاءت لتحقيق الأبعاد التالية:

[٢٤٨] -د. سعيد يقطين: نفسه، ص ١١٤.

❶ المماثلة أو لنقل التشبيه بين حالة نصية وحالة أخرى.

❷ المعارضة الساخرة .

❸ التفسير ، وإضاءة النص - المتن.

❹ الإيهام بالحقيقة، والتشديد على صدق التخييل.

❺التناصية.

وتحقق هذه العلاقات "وظيفة جمالية وبلاغية، بكونها تعمق تجاوبنا، وفهمنا للنص، عن طريق الانزياح عن التعبير المباشر في السياقات التي ترد فيها"([٢٤٩]).

وعليه، فلقد لقد اتكأ بنسالم حميش على هذه المقتبسات الخارجية والداخلية لإسباغ الصدق على الحبكة. أي: تخلق هذه المقتبسات عملا ذا "نزع تاريخي يوهم بواقعية أحداثه" - كما قال أحمد بن شريف ([٢٥٠]).

ثم، إن هذه المقتبسات تفتح المجال أمام النص الروائي المستحدث ليضطلع بأدوراه. وهو في ذلك إطار فني، يخضع فيه التاريخي للوازع الجمالي، على قاعدة البناء التخييلي المجمل بصور عديدة، تتوازى لتوليف مشهد متحرك وديناميي، تتداخل فيه العلائق عموديا وأفقيا، وفق نظام الحكي الذي يستدعي لقاء ذلك تقنيات السرد، والأدوات البانية والضرورية لعالم النص.ولقد تم استدعاء المقتبسات المناصية في هاتين الروايتين بهدف إضاءة جوانب كثيرة من عالم شخصية الحاكم بأمر الله أو العلامة.وبما أن "الإطار الذي تتحرك بمقتضاه الأحداث –الروائية- إطار تخييلي، فإن عنصر المعرفة التاريخية يتراجع إلى الخلف، ويترك المجال مفتوحا أمام لغة الخيال، باعتبارها مادة أساسية في بناء الصور، وتشييد مشاهد دينامية، تعبر عن الحس الفني الذي يجاهد النص لتأسيسه، وبلورة سماته العامة"([٢٥١]).

---

[٢٤٩] - د. سعيد يقطين: نفسه، ص ١١٥.

[٢٥٠] - أحمد بن شريف: (مستوى التخييل في مجنون الحكم لبنسالم حميش)، **جريدة القدس**، (لندن)، الأحد ٩ –١٠ أكتوبر ١٩٩٣.

[٢٥١] - أحمد بن شريف (مستوى التخييل في مجنون الحكم) لبنسالم حميش، **جريدة القدس**، (لندن) العدد ١٣٦٨، السنة ١٩٩٣.

ويلاحظ في رواية: (العلامة) أن هناك نصين داخليين: ملفوظ سردي موضوع بين مزدوجتين"..."، وملفوظ سردي موضوع بين معقوفتين [...]، فالملفوظ - المقتبس- السردي الموضوع بين معقوفتين لابن خلدون المرجعي. وهو مأخوذ من كتبه، ومنها (التعريف)، والملفوظ (المقتبس) السردي الموضوع بين مزدوجتين لابن خلدون الخيالي. وهو من صنع المؤلف، فضلا عن الحوارات التي تتخلله أحيانا.

وعلى أي، يؤكد تعامل بنسالم حميش مع المقتبسات النصية الداخلية والخارجية، لاسيما في روايتيه (مجنون الحكم) و(العلامة)، مدى جدلية الخطاب المرجعي والابداعي داخل التخييل التاريخي. لهذا، يمكن إدراج هاتين الروايتين في خانة الرواية التراثية القائمة على التأصيل، واستيحاء الخطابات السردية القديمة، والانزياح عن بنائها الخطي وتسلسها المتصل. ويمكن انتقاء بعض المقتبسات من رواية (العلامة) للتوضيح على الشكل التالي[٢٥٢]

رواية (العلامة) لبنسالم حميش			
الفصول	**المقتبسات**	**المقتبس منه**	**طبيعتها**
بداية الفصل الأول	١-" **رجل فاضل، جم الفضائل، رفيع القدر، أصيل المجد، وقور المجلس، عالي الهمة، قوي الجأش، متقدم في فنون عقلية ونقلية، متعدد المزايا، شديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصور، بارع الحظ، حسن العشرة، مفخرة من مفاخر المغرب،**"	لسان الدين بن الخطيب في كتابه: (الإحاطة في أخبار غرناطة)	مقتبس تاريخي إخباري(ترجمة غيرية)

[٢٥٢]- بنسالم حميش: **العلامة**، دار الآداب، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م.

	٢- " **ولازم(ابن خلدون) كثيرون في بعض عزلاته،فحسن خلقه معهم، وباسطهم ومازحهم، وتردد هو للأكابر، وتواضع معهم. ومع ذلك، لم يغير زيه المغربي، ولم يلبس بزي قضاة هذه البلاد لمحبته المخالفة في كل شيء"**	شمس الدين السخاوي في كتابه: (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)	مقتبس تاريخي إخباري(ترجمة غيرية)
بداية الفصل الثاني	١-" **إنه(أي ابن خلدون) تبسط بالسكنى على البحر، وأكثر من سماع المطربات، ومعاشرة الأحداث، وتزوج امرأة لها أخ أمرد، ينسب للتخليط، فكثرت الشناعة عليه. هكذا، قرأت بخط جمال الدين البشنيتي في كتابه القضاة".**	ابن حجر العسقلاني في كتابه: (رفع الإصر عن قضاة مصر)	مقتبس تاريخي إخباري (ترجمة غيرية)
	٢-" **في القاهرة شخص يحبني وأنا أحبه"** (ابن خلدون)	رواه ابن قاضي شهبة في كتاب:(الذيل على تاريخ الإسلام)	مقتبس شخصي سيري في شكل اعتراف إخباري.
بداية الفصل الثالث	١-" **وكان شيخي رحمه الله إمام المعقولات محمد بن إبراهيم الآبلي متى فاوضته في(شأن الثائر تيمور)، أو سايلته عنه يقول: أمره قريب، ولابد**	ابن خلدون في كتابه: (التعريف)	مقتبس إخباري تاريخي سيري

	لك إن عشت أن تراه"		
	٢- " وكان من جملة الآكلين: قاضي القضاة ولي الدين. كل ذلك وتيمور يرمقهم. وعينه الخزر تسرقهم، وكان ابن خلدون أيضا يصوب نحو تيمور الحدق،....وكاد يرقص طربا(...)".	ابن عربشاه في كتابه: (عجائب المقدور في أخبار تيمور)	مقتبس تاريخي إخباري

ويلاحظ من خلال هذا الجدول أن بنسالم حميش يشتغل كثيرا على المقتبس التاريخي والسيري في كتابة روايته (العلامة). وتندرج هذه الرواية ضمن التخييل التاريخي، وتتمحور حول شخصية ابن خلدون التي دخلت في صراع حاد مع الاستبداد المملوكي في مصر، فوقفت في وجه تيمور المغولي الذي عاث في الأرض الإسلامية خرابا وفسادا وهلاكا، كما واجهت هذه الشخصية المتنورة كيد العلماء و الفقهاء والقضاة الحاسدين. ويظهر لنا أن الكاتب قد وظف ستة مقتبسات نصية في رواية (العلامة)، حيث خصص كل فصل من فصول الرواية الثلاثة بمقتبسين نصيين في بداية كل فصل روائي، لتوجيه دفة الأحداث، وتأكيد مقصدية المعنى، وتبيين الأطروحة النصية الأساسية داخل المتن الروائي. و يعني هذا أن بنسالم حميش يدرس التاريخ في ضوء التخييل الفني، وضمن رؤية سردية جمالية دالة، جامعا بين الإخبار الموضوعي والتصوير الاحتمالي الخيالي، لخلق رواية عربية تراثية أصيلة متميزة. لذلك، فـ(العلامة) لاتنتمي قطعا إلى الرواية التاريخية التي يكتبها جورجي زيدان، بل تنتمي إلى رواية جديدة ، تسمى برواية التخييل التاريخي، كما هو الشأن لدى جمال الغيطاني في روايته(الزيني بركات)، والمسعدي في روايته (حدث

أبوهريرة قال:)، وأحمد توفيق في روايته (جارات أبي موسى) ، ورضوى عاشور في روايته (ثلاثية غرناطة)...

وبناء على ما سبق، لم تظهر المقتبسات النصية داخل المتن الروائي العربي إلا مع الرواية الجديدة من جهة، و الرواية التأصيلية ذات المخيال التراثي من جهة أخرى، بغية خلق نص حواري(بوليفوني)، متعدد الأصوات والخطابات والأجناس، بدلا من تلك الرواية العربية الكلاسيكية الأحادية الصوت التي كان يهيمن عليها الخطاب السردي الإنشائي الذاتي أو الموضوعي، وهي خالية كل الخلو من المقتبسات الاستشهادية التخييلية، والمرجعيات الإحالية، والمستنسخات النصية، والتعالقات الخطابية الحوارية، والمعرفة الخلفية. تلك المقتبسات النصية هي التي تؤهل القارئ في الحقيقة لتفكيك النصوص الإبداعية بنية، ودلالة، ووظيفة، بغية فهم هذه النصوص وتفسيرها في ضوء تلك المقتبسات. وهذا ما قامت به الرواية العربية الجديدة أو الحداثية ، حينما استهدفت خلق نصي مواز للنص السردي الحكائي، قصد توجيه القارئ توجيها صحيحا في قراءة النص الروائي، ومساعدته على تفكيك شفرته من البداية نحو النهاية، وإشراكه في فك مفاتيح مستهل الرواية، واستكشاف مقتبسات النص البارزة لرصد التعالقات النصية الموجودة بين النص المقتبس منه والنص الداخلي الإبداعي، من خلال التشديد على التعالق النصي، والاشتقاق التفاعلي التناصي.